الفصل الثانى

الدين فى أفريقيا

obeikandl.com

obeikandl.com

الدين فى أفريقيا

فى أفريقيا ـ ككل شعوب العالم ـ نجد الدين يسيطر على الحياة فيها[١].

مادمنا نأخذ الدين بمعناه العام وهو الخضوع لإله أعلى يعتقد فيه الإنسان .

أو مجموعة معتقدات وعبادات مقدسة تؤمن بها جماعة معينة... إلخ حقيقة قد نرى شعوبًا ـ برغم إيمانها بدين ـ قد تصرف بعض أو معظم شئونها غافلة عما يوجبه دينها. هذا ما نراه وبخاصة فى العصر الحديث ولكن الحال فى أفريقيا غير هذا تمامًا.

"فعلاقة الفرد بأسرته وبالقبيلة، والأخلاق، والقانون ،والعبادات والاحتفالات السياسية، والمركز الاجتماعى، والحرب والسلام. كلها كانت تضعف أو تقوى فى الحياة الأفريقية مركزة فى الدين"[٢]..

هذا بالنسبة لتصرفاته وارتباطها بعقيدته الدينية"

وأما بالنسبة لعقيدته نفسها فإن الدراسة تبين أن الأفريقى البدائى[٣] ما كان يعترف بالفروق ولا الحدود بين الأنواع: إنه يتجاهل هذه الفروق بل وينكرها، فليس للأشياء شكل محدد ثابت، إنه يرى بين جميع الأنواع قرابة وبمعنى أوضح وحدة تجمع هذه الكثرة من الأنواع ولا يرى لنفسه ميزة بين هذه الأنواع، فالثعبان أو التمساح ـ مثلاً ـ جده الأعلى، وعندما يضحى بضحية ما فإنه يرى أن ذلك يكون وسيلة لنقل قوة الضحية إلى المضحى، ففى قبيلة داهومى عندما يضحون بالطير

---

(١) بقول "جوست سباتييه" أنا متدين لأنى لا أستطيع خلاف ذلك. (عن مقدمة المصحف المفسر لوجدى)

(٢) الرب والله وجوجو صـ وبالطبع التقاء أفريقيا بالإسلام وأوروبا قد غير كثيرًا كما سنبين فيما يأتى وسيكون هذا التغيير تامًا حين يكون التمسك بالإسلام تامًا وضعيفًا حين يكون التمسك بالإسلام مقصورًا على الاسم والقشور.

(٣) ليس هذا خاصًا بالأفريقى البدائى بل نجد ذلك يكاد يعم العقلية البدائية فى كل مكان.

والكلاب، والخنازير، والغنم والثيران فإن غرضهم من نحر الضحية نقل قوة الحياة، وقوة الإخصاب منها إلى المتعبد[١]. بل قد يستفيد الجماد من روح الإنسان فقبائل (سارا) يرون فى الآلة الموسيقية التى يستعملونها فى الرقص الدينى يزعمون أن روح صاحبها السابق تحل فيها زمنًا بعد وفاته، وإنما أودعها ملكته الموسيقية"[٢]..

ويظهر عدم التفريق بين الأشياء عند (الدوجون) فى المثل السائر عندهم "إن كل فرد يمنح الجميع ويأخذ من الجميع " [٣]" وللحيوان فى عرف (البامبارا) نفسان (نى) و(ديا) مثله فى ذلك مثل الإنسان العاقل[٤]. "وكثير من العشائر تزعم أنها تمت بصلة القرابة إلى حيوان ما، فإذا نفق وجب دفنه، وأقيمت له الجنائز والمآتم، وبكته الطائفة، كما يفعلون لموتاهم من بنى الإنسان[٥]."ولقبائل (الدوجون)أساطير وأقاصيص نهاية فى سعة الخيال والتصور وتحل أعظم مكان فى ديانتهم.

ويمكن تقسيمها إلى ثلاث طبقات:

١ـ المجد الأول للقبيلة وهو الذى مات فى هيئة أفعى، ويرمزون له (بالقناع الكبير) وهذا القناع يبدل مرة كل ستين عامًا فى احتفال دينى حاشد، ويعرف باسم (سيجى) تشترك فيه وتتجاوب له عامة عشائر الدوجون.

٢ ـ يلى ذلك طبقة (بينو) وهم الأجداد الأقدمون الذين تحولوا جنا والذين يمكن معرفة اتصالهم بالناس بعلاقة خاصة، وهى نزول حجارة معينة من السماء. فإذا سيطروا على بعض الأحياء كان هؤلاء هم كهان القبيلة.

٣ ـ ويلى ذلك أخيرًا طبقة (ليبه) وهو أقدم جد مات على صورة إنسان، ولكنه يحيا فى باطن الأرض على صورة ثعبان، فيمنحها الحياة والخصب، ويزيد نبات الذرة قوة إلى قوته، ولذلك تقدم القرابين إليه فى وقت بذر الأرض. وعبادته تعد من جهة عبادة للأجداد، ومن جهة أخرى عبادة للأرض التى أحيتهم.

---

(١) الديانات فى أفريقيا السوداء صـ٥٩

(٢) نفسه صـ٦٣.

(٣) نفسه صـ٥٣.

(٤) نفسه صـ٣٤

(٥) نفسه صـ٣٥

obeikandl.com

فالزنوج لا يفرقون بين الطبيعة، وبين ما وراء الطبيعة، إذا الكون عندهم وحدة لا تتجزأ[١]..

وبذلك تتضح لنا عقيدة الأفريقين وتبعًا لهذه العقيدة ستكون معبوداتهم ولا تعجب بعدئذ إذا وجدناهم يعبدون الثعبان أو حيوانًا أو شجرة فهم ـ كما يعتقدون ـ يعبدون أصولهم.

كما يتضح لنا رأى الأفريقى البدائى فى صلته بالأنواع الأخرى حيث ينتهى فيها إلى عدم وجود فوارق بين الأنواع ولا وجود ميزة له عليها.

وسيتضح هذا أكثر بعرض عقائد الأفريقى بصورة تفصيلية بعض الشيء.

الإله عند الأفريقى

يظهر من الدراسة أن الأفريقى كان يؤمن بإله أعلى وهذا يكاد يتفق عليه كل الأفريقيين، ولكن بعد الإيمان بهذا الإله يؤمنون بآلهة آخرى صغار ونسمع وجهة نظرهم هنا من تلك المحاورة بين المستر "براون" رئيس الإرسالية المسيحية فى إحدى مناطق "نيجيريا" وبين الرئيس "اكوانا"

قال "اكوانا" لمستر "براون" فى أثناء إحدى زياراته:

إنك تقول إن هنالك إلهًا أعظم، وهو صانع السموات والأرض، ونحن أيضًا نعتقد فيه، ونسميه "شاكوا" إنه صنع كل العالم، والآلهة الآخرين.

وقال المستر "براون" لا يوجد آلهة آخرون، إن "شاكوا" هوالإله الوحيد، أما الآخرون فمزيفون، تنحت جزءا مثل هذه (وأشار إلى قطعة خشب علق بها "أكوانا" معبوده المنحوت "أكنجا") وتسميه إلهًا، ولكنه لا يزال قطعة من الخشب.

وقال "اكوانا": أجل، والشجرة التى أخذناها منها صنعها "شاكوا" تمامًا كما خلق كل الآلهة الصغار، ولكنه خلقهم كرسله حتى يمكننا أن نتصل به عن طريقهم..

وقال مستر "براون" لا يجوز أن تفكر فى الله كشخص، ولأنك تفعل ذلك يخيل إليك أنه بحاجة إلى مساعدين، وأن أسوأ ما فى هذا الاعتقاد أن كل عبادتك إنما تمنح للآلهة الآخرين الذين خلقتهم من دون الله "ويكون الرد:

---

(١) الديانات فى أفريقيا السوداء صـ٣٢ـ٣٣.

"ليس هذا بحق، إننا نقدم القرابين للآلهة الصغار، ولكن حينما لا يفلحون نلتجئ إلى "الله، شاكوا" وهذا هو الحق.

إننا نقترب من رجل عظيم عن طريق خدمه، ولكن حينما لا يفلح الخدم فى أداء مأموريتهم نلجأ إلى آخر معقل للأمل.

قد يلوح أننا نولى الآلهة الصغار اهتمامًا أكبر، ولكن هذا ليس صحيحًا، إننا نضايقهم أكثر، لأننا نخشى أن نضايق سيدهم.

إن أباءنا كانوا يعلمون أن "شاكوا" هو السيد الأعظم، وهذا هو السبب فى أن كثيرًا منهم سمى أولاده باسم "شاكوا"

إن "شاكوا" هو الأعلى(١).

هنا نجد أنه يعترف بأن الإله الأعظم هو الذى خلق ما يدعونهم آلهة، ومع ذلك يعبدونهم، ويعتقدون أن التجاءهم إلى صغار الآلهة إنما هو من تعظيم الإله الأكبر كما "نقترب من رجل عظيم عن طريق خدمه"

وإذا ما أعدت السؤال لماذا لا يتجهون إلى الإله الأكبر من أول الأمر يكون جوابهم "إنه من الغباء إهمال القوى الأقل شأنًا، لأنها أكثر قربًا، وأكثر ملاحظة،

---

(١) الرب والله وجوجو ص٤٤، ٤٢ وأننا هنا نجد الشبه قويًا بين الوثنين فى أفريقيا والوثنين فى الجزيرة العربية" أن العرب كانوا يعترفون بالله خالقًا لهم وللسموات والأرض، قال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (العنكبوت آية ٦١) وقال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ ﴾ سورة لقمان آية/ ٥٥ وأما حجتهم فى عبادتهم غير الله مع اعترافهم بأنه هو الخالق: أما حجتهم فهى كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ . (الزمر آية ٣) وإذا كان الافريقيون يرون أن المعبودات التى هى دون المعبود الأكبر مخلوقه له فأننا نجد هذا أيضًا عند العرب، فقد كانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا: **لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك. الا شريك هو لك تملكه وما ملك.** فيوحدونه بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم، ويجعلون ملكها بيده يقول الله تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم" ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (سورة يوسف أية ١٠٦) أى ما يوحدوننى لمعرفة حقى إلا جعلوا معى شريكًا من خلقى" (ابن هشام صـ٧٨ جـ١ وقد مضى ص٣٧ مرويا عن الكلبى فى كتاب الأصنام أنه من قول نزار)

وبالتالى يمكنها أن تسبب متاعب أكثر من الله العظيم كما يمكنها أن تكون أكثر خدمة فى حالة الأزمات[١]..

وإذا كان الأفريقى يقول بالإله الأعظم وبالألهة الصغار فإن العقيدة فى الأعظم تختلف من قوم إلى قوم فعند "الدوجون" له المكانة العليا يتضرعون إليه فى كل مناسبة، ويذكرون اسمه قبل اسم أجدادهم، وفى كل بيت عظيم من بيوت الأسرة يقام له محراب على شكل مخروطى من الطين اليابس، كما ترى له على طرق السفر محاريب أخرى لحماية المسافرين.. ويتخذ الإله الأعظم أسماء مختلفة لدى القبائل التى تعيش على امتداد ساحل غينيا ... ورغم أنهم يقدسونه ويصفونه بأنه أزلى، خالق للكون، يعتقدون إلا أهمية له كبيرة فى تصريف شئون الدنيا، وله معابد قليلة، تتخذ على شكل اسطوانة من الطين ذات شعب ثلاث، تسمى شجرة الله، ويعتقدون أنه يعيش فى سماء لا يدركها البصر، وأنه وكل الآلهة الصغرى بشئون الأرض[٢]".

ولكن فكرة تنزيه الإله تكاد تكتمل عند بعض أهالى أفريقيا، كما هو الحال عند قبائل أعالى النيل، حيث "تعتقد بإله سماوى عظيم خلاق، ينزل الغيث، لا يعرفون له صورة مادية، لأنه لا شكل له، و لا تدركه الأبصار، وإنما يدركون بالعقل، فهو روح عالمى هو مصدر الخير والشر على السواء.

فإذا التبس عليهم معرفة شيء فذلك الشيء إله فى نظرهم.

ودعواتهم موجهة فى غالب الأمر إلى وسطائه من الآلهة الصغرى، فإذا عجز هؤلاء عن إجابة دعواتهم انصرفوا عنهم ولجأوا إلى الإله العظيم آخر الأمر[٣]".

وبذلك نراهم برغم أوصاف التنزيه للإله لا يتركون عبادة غيره من الآلهة الصغرى الذين يرونهم موكلين من قبل الإله إلا على بقضاء الحوائج وتصريف الشئون"وهؤلاء الآلهة الصغار يختلف عددهم ونوعهم من قبيلة إلى أخرى.

---

(١) الرب والله وجوجو صـ٤٢.

(٢) الديانات فى أفريقيا السوداء صـ٤٤ ـ ٤٦.

(٣) الديانات فى أفريقيا السوداء صـ٤٧.

معبوداتهم

عرفنا أن الأفريقى يعترف بإله أكبر كما يعترف بالآلهة الصغرى هذا يكاد يكون إجماعا بين الأفريقيين على اختلاف آرائهم ولكنهم يختلفون ـ كما تقدم ـ فى أسماء الإله الأكبر، ومدى اتصاله بالكون علمًا وتأثيرًا،كما يختلفون فى أسماء وأنواع وتأثير الآلهة الصغرى:

تقدم لنا أن الإفريقى لا يقيم حدًا فاصلاً بين الآلهة وجميع أنواع الكائنات وهذا سيكون له أثر فى معبوداته وتعددها كما تبين لنا الآن.

عبادة الثعبان

عبد الإفريقى الثعبان، وصنع له بيتًا خاصًا داخل بيت الأسرة وينظرون إليه على أنه رب البيت، ينتظرون منه البركة والحماية، وإذا أراد أحدهم السفر استأذن من الثعبان ، وإذا سافر دون أن يستأذن قضى سفره وهو غير مطمئن، يتوقع أن تنزل به كارثة[١].

"والأفعى لها جملة معابد فى جنوب (داهومى)، ولذلك يتركونها آمنة بين المساكن،دون أن يمسها أحد بسوء فإذا رآها إنسان منهم قبل الأرض بين يديها، وناداها بكلمة (أبى)[٢].

وقبائل (الاشانتى) و(الفون) إذا ماتت الأفعى أقاموا لها الجنائز وبكوها[٣]. وقبائل (الدوجون) يزعمون أن ثعبانًا معروفًا باسم (ليبه) يمثل الجد الأول يسعى إلى الكاهن الأكبر كل ليلة، فيلعق جسمه، ويمنحه القوة كى تطول حياته حتى غده[٤]وقد تقدم لك أن قبائل (الدوجون) تعتقد بأن الجد الأول للقبيلة هو الذى مات فى هيئة أفعى.

---

(١) كما سمعت من غير واحد عندما كنت بنيجريا فى شهر يونيو ١٩٨٠

(٢) الديانات فى أفريقيا السوداء صـ٣٥.

(٣) انظر نفس المصدر صـ٣٥

(٤) انظر نفس المصدر صـ٥٣.

obeikandl.com

"وأعظم الأعياد الدينيه عند (الدوجون) هو عيد (سيجى) وهو يتكرر فى نهاية كل ستين عامًا، احتفالاً بتبديل القناع الأكبر القديم بالقناع الأكبر الجديد والقناع الأكبر عندهم هو حامل روح الجد الأول للقبيلة وفى هذا الاحتفال يخصصون جماعة من المراهقين حملة الأسرار الدينية لخدمة هذا القناع وصيانته.

والقناع عبارة عن تمثال من الخشب يمثل أفعى هائلة تنتهى برأس دقيقة، ويضحى عندئذ بحيوان وطير، لتنتقل روح تلك الضحايا وتحل فى تلك الأفعى الخشبية، فتدب فيها حياة رمزية[١].

وبذلك تعرف لماذا عبد الإفريقى الثعبان

عبادة البشر من الملوك والأجداد

إن التأمل لعبادة بعض القبائل للثعبان يجد أنها عبادة للأجداد، فهو يتصور أن الثعبان جده الأعلى. ولكن الأفريقى قد يتوجه إلى عبادة الملوك والأجداد مباشرة دون أن يتصورهم فى شيء آخر فنجد فى البلاد التى تسود فيها الملكية ـ ولاسيما فى (الاشانتى)و(داهومى) ـ تحتل عبادة الملوك القدماء مكانًا بليغًا من الأهمية، لأنهم يزعمون أنه يتوقف على رضاء هؤلاء الموتى العظام نعمة خصب الأرض،وتكاثر النسل[٢].

ومادام هؤلاء قد توجهوا بالعبادة إلى ملوكهم فإنهم لا يبخلون عليهم بشيء حتى التضحية بالإنسان فى سبيلهم، ومن أجلهم.

فقد "كان المتبع قديمًا بين قبائل (هوزا) عند موت الملك أن يحنط جثمانه، وبين قبائل(أشانتى) و(الغون) أن ينزع عدد من الناس ليقوموا بخدمته فى الدار الأخرى. وكانت عبادة الملوك تأخذ أهمية عظيمة وتفرض تضحيات بشرية .

(١) نفسه صـ ٥٤

(٢) نفسه صـ ٦٢.

obeikandl.com

فالسلف من الملوك ومن مؤسسى الشعوب يأخذون فى أعين الناس صفة الآلهة العظام الحماة لشعوبهم.

وتعتقد قبائل (الزولو) أن الأب الأول هو الذى خلق الناس، وهكذا لا يبقى عندهم لإله السماء إلا رتبه ثانوية[١].

ونجد هذا عند القبائل الأخرى حيث "تخصص قبائل (سوازى) كوخًا لعبادة الآباء والأجداد، ويقدمون إليهم النذور من اللحم والخمر يضعونها ليلاً عند قبورهم والحفل الرئيسى عندهم (انكوالا) يحييه الملك والملكة الأم، ويستمر الأحتفال ستة أيام.

ويزعمون أن الملك إذا مات بعث حيا ليزود شعبه بقوى حيويه جديدة [٢].

والأفريقى ليس وحيدًا فى هذا بل نجد شعوبًا أخرى تشاركه هذه العقيدة مثل الصين.

"ففى الصين تعد عبادة الأسلاف الدين الوحيد الذى يدين به الشعب لأن دين الدولة قد نظم هذه العبادة وأقرها.

وهذه العبادة ـ حسبما يقول"دى جروت"فى وصف الدين الصينى ـ "تدل على أن روابط العائلة مع الموتى لا تنفصم، ويظل الموتى يمارسون سلطتهم وحمايتهم، منهم الأرباب الحماة الطبيعيون للشعب الصينى، وآلهتهم البيئية الذين يقدمون الحماية ضد الأشباح، ويخلقون بذلك بركة وعبادة الأسلاف تمنح المرء حماية الفقيد من عائلته، فتمنحه بذلك ثروة وفلاحًا.

لذلك فإن ما يملكه فى الحقيقة هو ملك الموتى يظلون يعايشونه[٣]..

أما هذا التشابه فإن سببه ـ أو على الأقل أهم أسبابه ـ هى الرحلات واللقاءات بين الشعوب.

---

(١) نفسه صـ ٣٢.

(٢) نفسه صـ٦٥.

(٣) مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية صـ١٦٠ ـ ١٦١.

التضحية

هناك فكرة سيطرت على الأفريقى وهى أن انهاء حياة يكون سببًا فى امتداد حياة أخرى، فالتضحية بحيوان أو طير أو إنسان معناه"فى اعتقادهم أن القوى الحيوية للذبيح تنتقل إلى المعبود الذى تقدم إليه الضحية: الآباء، أو الجن،أو (فارو) فى الشعائر الزراعية[١].

"وكلمة قربان فى لغة (الدوجون) مشتقة من كلمة معناها (اعادة الحياة) فالمرض وارتكاب المحرمات تسبب فقدان بعض تلك القوى،ولا يمكن استعادتها إلا إذا سال دم الضحية، وصبغ به المحراب،أو سكب عليه خبيصة مطبوخة من الذرة(وبهذه الوسيلة يستعيد المتعبد تلك القوى التى ضاعت منه، كما تستعيد سلامة قوامه،لأن القرابين والضحايا تحدث شركة روحية بين الأحياء والأموات،والمثل السائر بينهم هو (أن كل فرد يمنح الجميع ويأخذ من الجميع[٢].

والأفريقى ـ تبعًا لعقيدته هذه ـ لم يبخل بشيء فى سبيل هذا الهدف، فلم يقف بالتضحية عند الحيوان، بل نرى التضحية بالبشر كانت شائعة.

فنجد شجرة قبائل (افيموند) يقتلون الأطفال ليجعلوا منهم خدامًا لهم[٣].

وفى الماضى كانت العادة أن تقدم ضحية بشرية فى الأحوال الخطيرة التى تهم المملكة. وكانت الضحية فى الغالب شخصًا أشقر اللون (عدو الشمس) وهو اللون الذى يفضله الإله (فارو)

وتتغير مراسيم التضحية حسب الظروف فهى:

١ـ فى المشاكل الخاصة بالحكم كان الشخص يشطر عرضًا إلى شطرين بحبل يشد حول بطنه، وذلك فى حضور الملك الذى يفرض عليه أن يحتفظ بسكونه، دون أن يبدى حراكًا. ثم يحمل الشطر الأسفل فيلقى فى النهر قربانًا للإله (فارو)وأما الرأس فتدفن تحت عرش الملك.

---

(١) الديانات فى أفريقيا السوداء صـ و(فارو) هو الذى انفرد بتنظيم الكون بعد أن هزم سلطان المادة بمبا.

(٢) نفسه صـ٥٣.

(٣) نفسه صـ ٩٩.

٢ ـ وفى الأزمات المالية يغرز فى حلق الشخص عصا من الغاب الهندى، فتنفذ إلى بطنه.

٣ ـ وفى حالة موت عدد كبير من أسرة واحدة يتقدم رب الأسرة إلى الملك ليحصل منه على إذن بتضحية شخص أشقر، فإذا ذبح هذا أخذ لسانه، وأنفه وعيناه، لتأكلها الأسرة، وأما الجمجمة فتدفن فى فناء المسكن[١].

وقبيلة (البامبارا) كانت تعد الوليد الأشقر اللون نجسًا." وكانوا فى العصور الأولى يذبحونه قربانًا فى الأعياد الكبيرة[٢]. وفى فناء البيت يوضع الكرسى الخاص برب الأسرة مرتكزًا على جثة شخص أشقر[٣].

كما كانت العادة عند قبائل (الدوجون) قديمًا أن يضحوا بشخص أشقر اللون فى احتفالهم الدينى بتجديد الكون[٤].

ونجد التضحية بالبشر كذلك عند (داهومى) فهم فى الزمن الغابر كانوا يتقربون للآلهة بالضحايا البشرية وهذه إنما تكون فى المناسبات الخطيرة كالكوارث، أو عند موت الملك، أو فى الأعياد السنوية.

والعجيب أن الضحية من البشر كان يتقبل ذلك عن طيب خاطر اعتقادًا منه أن روحه ستحل بعد قتله فى جسم شخص خطير المكانة[٥].

بذلك نرى أثرًا من أثار سيطرة العقيدة على المضحى وعلى الضحية حيث جعلت التضحية بالنفس والولد شيئًا سهلاً فى سبيل إرضاء الآلهة أو الجماعة وطمعًا فى حياة أفضل بعد مفارقة هذه الحياة (وهذا يجعلنا فى حاجة إلى أن نعرف عقيدة الأفريقى فى:

---

(١) نفسه صـ٥٦.
(٢) نفسه صـ١٥
(٣) نفسه صـ٥٦.
(٤) نفسه صـ٥٦.
(٥) نفسه صـ٦٠.

الموت

نرى الفلاسفة الذين يؤمنون باستقلال النفس عن البدن وبخلودها يقيمون الأدلة على دعواهم "وإذا قرأنا"الفيدون" لأفلاطون شعرنا بجهد الفكر الفلسفى كله وهو يحاول أن يقدم برهانًا عن خلود النفس الإنسانية واضحًا لا ينقض.

أما فى الفكر الأسطورى فالمسألة تختلف عن هذا إذ يقع عبء البرهان هنا على الجهة المقابلة، فإن كان كل شيء بحاجة إلى برهان فذلك هو حقيقة الموت لا حقيقة الخلود.

ولا تقبل الأسطورة والدين البدائى أى برهان على حقيقة الموت لأنها تنكر إمكان الموت. حتى ليمكننا بمعنى من المعانى أن نفسر كل الفكر الأسطورى بأنه إنكار عنيد ثابت لظاهرة الموت.

ويفضل هذا الاعتقاد بوحدة حياة لا تنقطع وباستمرار تلك الحياة كان على الأسطورة أن تزيل هذه الظاهرة من الطريق.

وربما كان الدين البدائى أقوى وأشد تأكيدًا نجده فى الحضارة الإنسانية[١].

وإذا كان البدائى ينكر الموت فإن هذا الإنكار ينصرف إلى الروح: فمن المؤكد عند الأفريقى - الذى هو موضوع دراستنا - أن الموت الظاهرى ليس نهاية الحياة الحقيقة للشخص ولأنهم يعتقدون فى حياة من مات نجد أنهم لا ينسونهم فى مناسبتهم "فإذا نحرت ماشية اهدوا جزءا منها إلى روح الأجداد وإذا أقيم عرس دعيت أرواح الآباء والأجداد من الأسرتين لحضور حفل الزواج تبركًا بهم[٢].

وقبائل (سوازى) يزعمون أن الملك إذا مات بعث حيًا ليزود شعبه بقوى حيوية جديدة[٣].

---

(١) مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية صـ١٥٩

(٢) نفسه صـ٦٤.

(٣) نفسه صـ٦٥.

وإذا كانت هذه هى عقيدته فى الروح فنحن الآن نريد أن نعرف رأيه فى أمرين يتصلان بمن مات فى الظاهر: (ما مصيره وما تأثيره بعد الموت أما بالنسبة للأمر الأول، وهو مصيره، فنجد أن قبائل (ايفا) تعتقد فى نفسين اثنين: هما روح الحياة وروح الموت فالأولى تصعد إلى السماء، والأخرى تنزل تحت الأرض، وراء نهر عريض، حيث منازل الموتى والزمهرير والكآبة.

وقد تحل نفس الميت فى أحد ذريته.

وقد يحدث أن تتنافس روحان فى الحلول بجسم واحد، فيحدث بينهما شجار يؤدى إلى اضطرابات عقلية عند الشخص المتنازع عليه[١].

وإذا ما كانت هناك فترة بين موت واحد، وميلاد آخر، أين تكون نفس الميت إلى أن يولد الجديد؟

إن قبائل (الكيكويو) فى كينيا تخرج من هذه المشكلة بإعتقادها أن لكل شخص نفسين أحداهما تنفصل عن الجسد عند الموت لتنضم إلى أنفس أسلافها، والأخرى نفس جماعية، وهى جزء من روح الأسرة التى تحل فى جسد أحد أعضائها بصفة موقوته، إلى أن تحل فيما بعد فى جسم أحدث مولود فى الجماعة[٢].

وشبيه بهذا - من حيث عدم وحدة النفس - نجده عند قبائل (البامبارا) إذ تعتقد بوجود نسمة مزدوجة لكل إنسان: أولاً، النفس (نى)، وثانيًا: التؤم (ديا). وتعتقد أن الطماطم إذا امتصتها المرأة كونت فى جوفها جنينارخوا، يحيله الاتصال الجنسى إلى كائن حى، وهذا الكائن الحى يرث كلتا النفسين (النسمتين) عن آخر من يموت من الجماعة.

وهم لا يطلقون اسمًا على الرضيع إلا بعد فحص تركيبه الجسمى، وتعرف فطرته(تيريه) والاسم الأساسى للطفل هو اسم جده الذى حلت روحه فى الرضيع، ويضاف إليه أسماء وألقاب أخرى.(مثل اسم الأسرة وشعارها وشجرة نسبها ..

(١) الديانات فى أفريقيا السوداء صـ١٨.
(٢) نفسه صـ١.

وعندما يموت الشخص تنفصم عنه نفوسه، فتذهب (ديا) إلى الماء. وأما (نى) فتحل فى محراب الأسرة، فإذا ولد طفل فى الأسرة عادتا للحلول فى بدنه، ومصير الجثة إلى الديدان والفناء ولكن هل يعامل الطفل الذى حلت فيه روح جد، على أنه والد لوالده، تبعًا لروحه أو على أنه ابن لوالده تبعًا لمولده نجد حل هذا عند قبيلة (السارا) التى ترى أنه "لا يليق حينئذ أن يعيش الطفل مع أبيه تحت سقف واحد، فإن سلطانه يتعارض مع سلطة والده وهو رب الأسرة.

لذلك يجب أن يربى الطفل بعيدًا عن بيت الأسرة[١].

وأما عند قبائل (الأقزام) فإن القوى الحيوية التى تعرف باسم - (مجبة) " تربض فى دكنة الظلال، أوتسير فى الدم، فإذا توفى الشخص انفصمت عنه، وانتقل جزء منها إلى الطواطم، ويتسرب الجزء الآخر مع أنفاس الأب المحتضر، فيتلقاها ابنه البكر إذا حنا على أبيه عند وفاته، وفتح فاه ليتلقى هذا السر من أبيه[٢].

وهكذا نجد الأفريقى لا يتنازل عن الخلود للروح ثم هى عامل الاستمرار بالنسبة للجماعة أما بالنسبة للأمر الثانى وهو: تأثير من مات بعد الموت إن عقيدة الأفريقى فى هذه المسألة قد أورثته الحيرة.

إذا كان أمامك شخص حى فإنك تعرف مدى قوته وكيف تسيطر عليه أو كيف يسيطر هو عليك. ولكن الميت أصبح له وضع آخر.

وهنا نجد النظر يختلف من جماعة إلى أخرى.

فقد نجد الرعب كما هو الحال عند قبائل (أوفموندو) فى أنجولا البرتغالية حيث تعتقد أن أشباح الموتى قد تجتاح فى الليل أزقة القرى فى جلبة وصياح، لتسرق الماشية والطيور. وعندئذ تختار لنفسها بيتًا، فيكون ذلك نذيرًا بالمرض لساكنيه. ولا تنصرف هذه الأشباح إلا بتقديم القرابين ترضية لها، ومع ذلك فإنها على طول الأمر تعود مسالمة[٣].

---

(١) نفسه ص ٢٠

(٢) نفسه ص ١٢.

(٣) نفسه ص ٢٢.

وأما قبائل (البامبارا) فإنها تسعى لعقد صلح مع أمواتها حيث يقدمون القرابين لجثة الميت عندما تحمل إلى مقرها الأخير، ويتقدم شيخ العارفين فيقول مناشدًا الجثة: أتضرع إليك أن تتركنا وشأننا فى سلام إننا نعدك بتقديم كل ما يرضيك من قرابين[١].

ومثل هذا ما تفعله جمعية (كومو) فى هذه القبيلة (وهى جمعية دينية لها سلطات روحية واسعة) حيث يتوجه رئيس الجمعية إلى الميت يناشده بقوله: "أتوسل إليك ألا تؤذينا، فدعنا نعيش فى سلام ووئام، وليكن زرعنا ناميا، ومحصولنا وفيرا. وامنحنا بركاتك، فقد أدينا إليك جميع حقوقك ونحرنا لك القرابين"[٢].

وقد يتصورون أشباح موتاهم فى صورة مفزعة[٣] وقد يتصورون الموتى قريبين منهم دائمًا، حتى أنهم قبل كل طعام يضعون لموتاهم قليلاً من الحبوب، وقطرات من الشراب على ناحية، نصيبًا للموتى و لا تنظف أطباق الطعام من فضلات الطعام بعد العشاء، بل تترك لكى تستطيع أرواح الموتى أن تنتفع بما تبقى بها. هذا إلى أنهم يستخيرون موتاهم، ويطلبون حمايتهم فإذا أهمل الأحياء واجباتهم نحو موتاهم انتشر المرض بينهم ونزلت بهم الكوارث انتقامًا منهم[٤].

والميت قد يأخذ ثأره بعد موته كما أنه قد يكون أداة فى يد ساحر فالقوم يؤمنون بقدرة الساحر، وأشد ما تكون هذه القدرة فى استخدام روح الميت.

من هنا نرى أن أشد ما يخشاه سكان أعالى "نهر الزمبيرى" ثلاثة أنواع من الأرواح المعتدية:

أولاً: روح ميت ناله أذى من شخص آخر

ثانيًا: روح ميت من السلف، إذا أهملت الشعائر الدينية الواجبة له أو إذا أهدرت محرماته.

---

(١) نفسه ص ١٧.
(٢) نفسه صـ٢٤.
(٣) أنظر هذه الأوصاف فى نفس المصدر صـ٢٢
(٤) نفسه صـ٢٥

ثالثا: روح ميت امتصه الساحر من ثقب فى قبره، إذ يقلب الساحر أوضاع معدته وأعضائه. منذ ئذ يستخدم الساحر روح هذا الميت فى أغراضه[١].

وقد تكون حال الإنسان فى الآخرة كحالته فى الدنيا، ولذلك نجد عقيدة قبائل (منده) أن " بعض الموتى المعروفين بالشرف فى حياتهم، والذين لا تقبل أرواحهم فى مستقر الأموات، تجيء أرواحهم إلى المساكن، وتدأب على تهديد السكان، وإشاعة الفزع فى نفوس أشاوسهم وكذلك تصنع أرواح الموتى الذين يهمل أهلوهم أن يدفنوا معهم فضة وثمارا تكرمة لهم عند قدومهم إلى الآخرة ليستعينوا بها على إقامة بيت لهم فيها[٢].

وبذلك نرى أن الموت لم يفرق بين الحى والميت فلازال الميت يستطيع أن يفعل الكثير بل أكثر مما يفعله الأحياء. والأحياء إذا أهملوه يستطيع أن ينتقم منهم.

وكما أنك فى هذا المجتمع لا تستطيع أن تعرف الحى من الميت كذلك لا تستطيع أن تعرف العابد من المعبود إنها الوحدة الكاملة التى آمن الأفريقى فى بدايته بها.

وتعجب حين تجد هذه المشاكل التى عرضت للأفريقى بناء على عقيدته فى عدم الفرق بين الأحياء والأموات، وعودة الروح لتحتل جسد أحد الأحفاد، فالسؤال الذى يرد هنا هو: هل الجماعة تعتبر هذا الحفيد تبعًا لروحه فيكون أبًا لأبيه أو تبعًا لتأخره فى الولادة فيكون أبنًا لأبيه.

نجد الأفريقى يتعرض للإجابة هلى هذا الموضوع ويتحمل نتيجته، ويبعد الوالد ولده حتى لا تتعارض السلطتان كما تقدم لك رأى قبيلة - (الدوجون) فى الصلة بينها وبين الجن حيث تقسم طبقات أسلافها إلى ثلاث طبقات وتجعل الطبقة الثانية هى طبقة (بينو) وهم الأجداد الأقدمون الذين تحولوا جنا، والذين يمكن معرفة اتصالهم بالناس بعلاقة خاصة، وهى نزول حجارة معينة من السماء، فإذا سيطروا على بعض الأحياء كان هؤلاء هم كهان القبيلة[٣].

---

(١) نفسه ص ١٩ - ٢٠.
(٢) نفسه ص ٢٦.
(٣) نفسه ص ٣٢.

تحتل العقيدة فى الجن مكانًا أساسيًا عند الأفريقى، وعلى حسب هذه العقيدة يكون التصرف مع الجن.

فالبعض يرى فى الجن مصدر نفع، والبعض يرى فيهم مصدر إيذاء والبعض يراهم مصدرا لمعرفة المستقبل وهكذا.

فمن اعتقاد الخير فى الجن ما تراه عند (البامبارا) فهم يطلقون على الجن اسم (دازيرى) وهى تحرس الدور، وأخرى تسمى (سوبا) تحرس الطرق.

وتقدم لهذه القرابين من ثمرة الكولا، أو من خيوط القطن، حتى يتخلص الناس من أذاها[١]. وعند (الأشانتى) نجد الجان عونا للمتطببين فى ابرائهم للمرضى[٢].

وأما الجن الذى يميل إلى الشر، فهو ما نراه عند (الأوبانجى) فعندهم " حشد من الجنيات، وهى أرواح مؤذية، تجتمع ليلاً لتغتال نفوس الناس، لها أصوات كمواء القطط، تسمع حول البيوت وهى تستطيع أن تحل فى الأبدان، ولا تطردها منها إلا حفلات (الزار) ويتصورون جن الماء جنًا أبيض اللون، ولهذا يقدمون إليه قربانًا أبيض اللون كذلك، كالدجاج الأبيض، والبيض والذرة[٣].

وأما شكل الجن فلهم فيه تصورات شتى نجد فيها التشوه فى الصورة فمثلاً يوجد عند قبائل (الدوجون) فريق من الجن يدعى (بيبان) وهم مخلوقات صغيرة الجسم نحيفة، لهم رؤوس ضخمة، وهم سلالة الإنسان الخالد، ويسكنون الكهوف، والأجمات الملتفة، وقد تحمل منهم النساء[٤].

ثم يضيفون إلى الجن قوى خارقة حيث نجد "لدى (السارا) مروة تسمى (سو) ويزعمون أنهم عاصروا الإله الأعظم، قبل نشأة الخليقة، وهم يضعون قوة النمو فى البذور، ويخرجون الأجنة من ظلمات الأرحام إلى نور الوجود، وينزلون المطر، ويعيشون فى باطن الأرض أو فى جوف بعض الطبول[٥].

---

(١) نفسه ص ٥٠.
(٢) نفسه ٥١.
(٣) نفسه ص ٥١.
(٤) نفسه ص ٥٠
(٥) نفسه ص ٥١.

وبهذا نراهم يرفعون الجن إلى مقام الآلهة ، ويسندون إليهم كل هذا التأثير.

ويعتقد الأفريقى فى قدرة الجن على العلم بالغيب ، حيث تزعم قبائل (مندى) أن لها جانا تكشف المستقبل للشخص فى أحلامه إذا قدم لها قربانا[١].

والاتصال بالجن له نظم معينة " ففى قبائل (مندى) توجد جمعية (بورو) والعضو فيها يلقن كيفية الاتصال بعالم الجن والعوالم الخفية[٢].

وبهذا نرى أن الأفريقى ـ كعادته فى محاولة الأنتفاع بكل الكائنات يضع الخطط للانتفاع بالجن.

الكهانة والسحر

الإنسان فى كل العصور وفى كل المجالات يتطلع إلى حماية نفسه حتى الفدائى والمنتحر ، فالفدائى يضحى بنفسه فى سبيل مقدس لديه يرى فى المحافظة على ذلك المقدس حياة له حتى ولو مات فى سبيل هدفه والمنتحر يرى فى قتل نفسه محافظة على نفسه من أمر هو أشد من الانتحار فقد يرى ـ وهو مخطئ ومحاسب قطعًا ـ أن ألم الموت أخف من ألم فراق عزيز عليه.

ومن حب الإنسان لنفسه ومحافظته عليها يحاول معرفة المستقبل .

لا فرق فى هذا بين الإنسان البدائى والإنسان فى أرقى درجات المدنية. لكن الذى يختلف من إنسان إلى إنسان هى الوسيلة التى يحاول بها الإنسان الوصول إلى هدفه.

فالقوانين العلمية وسيلة للسيطرة على الطبيعة عند من يجيدونها كما أن هذه القوانين وسيلة ـ تبعًا لحساب مخصوص ـ للتنبؤ بما يمكن أن يحصل لبعض الأشياء فى المستقبل.

والإنسان البدائى لم تتوفر له هذه القوانين العلمية ،وبالتالى لا يرضى أن يقف عاجزًا أمام هذين المطلبين الملحين حماية نفسه والتنبؤ بالمستقبل ومثل الإنسان الأفريقى ما نراه فى عصرنا وقد يكون بين أرقى المتعلمين من اللجؤ إلى الدجالين خارجين بذلك عن طريق الدين والعلم .

---

(١) نفسه ص ٥٠

(٢) نفسه ص ٧٩.

سلك الإنسان الأفريقى الطريق التى رآها توصله إلى غرضه فحاول استنطاق الأرواح والسيطرة عليها كما حاول التأثير على الكون بالسحر[١].

"فالعرافون أو الكهان عند(الماندانج) يحملون خرجًا من جلد الماعز يحتوى خليطًا من أدوات العرافة، : جذور نبات، وخيوط، ووعاء من طين يابس به ماء، وتمثالان لرجل وامرأة، ونصلان مقوسان، وأربعة أجراس اصطوانية، وصرة من الودع، وقرنان مزركشان.

فإذا فرغ الساحر من همهمته، وتلاوة العزائم، أفرغ خرجه على الأرض، ثم نثر الودع على الجلد ، وأخذ يستنبط الجواب من الشكل الذى اتخذته هذه الخرزات على سطح الجلد...

وعلى ساحل غينيا نجد الكهانة، وبيع التمائم فاشية بين السكان، والعرافون بين قبائل (أشانتى) يستعملون وسائل أخرى فى الكشف عن الغيب، كسوط ذى سبع شرائح، وقدر وأمعاء دجاجة، ومرآة سحرية، وخرزات تطرق على أحد القبور.

وقد يستعملون وسيطًا للأرواح يتهكهن بالغيب أمام أحد القبور[٢]، وتعتقد قبائل (الوبى) أن الساحر يستطيع أن يرسل وهو فى سباته تؤمه الروحى ليأكل تؤم شخص آخر. ويتجمع هؤلاء السحرة فى شبه نقابات ليتصيدوا توائم أعدائهم، وينزعوا منهم أكبادهم (معنويا) ويأكلوها بعد شوائها، فيبقى هؤلاء على قيد الحياة ولكن مرضى...

كما يستطيع الساحر أن يوجه الحظوظ المنكوده إلى الناس وخاصة عند مرور جنازة ميت، ولا يمكن إبطال سحره إلا إذا امتص المتطبب عمل الساحر من جسم الشخص المسحور..

---

(١) والسحر نوعان أبيض وأسود فالسحر الأبيض أو الحلال هو الذى اختص به جماعة معترف بها ويستعمل عادة فى النافع كالدواء أو إنزال المطر أو معرفة المستقبل وأما الأسود فهو الخبيث الذى به إضرار بالناس وكانوا ينزلون العقاب الذى قد يصل إلى الموت بمن يثبت عليه هذا وقد يطلق السحر على ما يفيده الحسد بمعنى العين.

(٢) نفسه ص ٨٧ـ٨٨.

obeikandl.com

وتعتقد قبائل (اشانتى) أن الساحرات يستطعن امتصاص دم ضحاياهن بطريقة خفية، ويستعن على إيذاء الشخص باستعمال جزء من جسمه أو ملابسه كخصلة من شعره أو أظافره أو خيط من ثوبه، أو أثر قدمه فى التراب..

وتجتمع الساحرات فى أحلاف بعضهن مع بعض أو مع الجنيات، ويرقص الجميع فى ظلام الليل رقصًا خليفا...

وفى جنوب (كاميرون) وفى (جابون) يعتقد الناس فى (الايفو) وهو خادم الساحر الخبيث، يرسله فى هيئة حيوان صغير الجسم يخفى على العين ليلتهم قلب عدوه فيحل به الموت بعدها بقليل، بل هو السبب الرئيسى فى أكثر حوادث الموت عند كثير من القبائل[١].

وكما أن الساحر يستطيع أن يؤثر فى أعدائه، كما يزعمون - فإننا نجد هؤلاء الأعداء يبحثون عما يبطل السحر.

فمثلاً نجد (البوشمان) يستعملون "قوسا صغيرة وسهما مسمومة لوقاية أنفسهم من مكايد السحر التى يوجهها إليهم أعداؤهم[٢].

والاعتقاد فى السحر يكاد يشمل أهل أفريقيا كلها والمسلمون كثيرًا ما يعتقدون فى السحر مثل غيرهم ويتناقلون الأخبار فى هذا فهم يروون أنه "فى محاربة الخليفة"اسحاق"للسلطان"عبد الرحمن" كان للخليفة عدة رجال يقوسون بالبندق فسحرهم جماعة السلطان حتى أن البارود كان يخرج من البندق كالمبلول لا يسمع له صوت ورصاصه كان لا يضره وبندق جماعة السلطان بعكسه فى الصوت والضرر[٣]

ثم يحكى صاحب هذا الخبر كثيرًا من الاعتقادات فى السحر وعن كثير ممن كان لهم دراية بالسحر مثل قبيلة الفلآن التى خصت بالأعمال السحرية فى دار قور.

ومن اعتقادهم فى السحر أنه يأتى بمن يريد الساحر الاتيان به مسلوب الإرادة غير قادر على التخلف[٤] وأنه يمكن للساحر أن يجعل ملحفته تنفرد فوق رأسه وتظله

---

(١) نفسه ص ٩٨، ٩٦

(٢) نفسه ص ٩٥

(٣) تشحيذ الأذهان ص ٣٢٤

(٤) ارجع إلى صـ٣٢٤ نفس المصدر

obeikandi.com

وتسير معه أنى سار دون أن يمسكها أحد أو أن يمسك ببعض التراب ويقرأ عليه بعض كلمات ويرمى به فى السماء الممطرة فإذا بالمطر ينقشع من فوق رأسه، كما يستطيع الساحر أن يسحر أعين الأعداء حتى تصبح غير قادرة على التمييز بين الذهاب والمجئ[١].

كما يعتقد بأن الساحر يمكنه أن يغير أشكال الناس حيث يظهرون فى صورة حيوان[٢].

وأنه يمكن الاتيان بالأشياء من أماكن بعيده فى زمن قصير جدًا وأن هناك ناسا يستطيعون التشكل ويذهبون إلى أبعد محل فى أقرب زمن وأنهم كانوا يرون فى بعض الأحيان أن سباع المنطقة ما هى إلا أشخاص منهم قد تشكلوا بأشكال حيوانات معينة كالأسد مثلاً[٣].

وأنهم كثيرًا ما ينبئون بالغيب ويصدقون فيما يقولو[٤].

وقد نجد سحرًا لا يفترق عن العبادة وأن كانوا يسمونه سحرًا فنجد "السحر الذى يستسقى به المطر من أعظم ما تهتم له القبائل الزراعية وغالبًا ما يكون هذا السحر تضرعا دينيًا يتوجهون به إلى الأسلاف والألهة غير أنه لكى ينصاع الإلهية فتستجيب الدعاء يلجئون إلى وسائل عدة. فعند القبائل (لوندا) مثلاً يبللون به الفؤوس قبل بدء العمل على الأرض أو يبللون التربة بطين رطب ذىَ لون أخر وأبيض[٥].

تعقيب

هذه هى بعض عقائد الوثنيين فى أفريقيا، فى أهم النواحى الدينية وبالطبع هناك خلاف بين الإفريقيين فى بعض العقائد فقد يكون الأمر واجبًا دينيًا عند قبيلة وتجده عند أخرى على العكس تمامًا كعادة الختان بين قبيلة (المانجا) وكثير من القبائل على

(١) ارجع إلى صـ٣٢٤ نفس المصدر.
(٢) ارجع إلى صفحة ٣٢٨ نفس المصدر.
(٣) ارجع إلى نفس المصدر ص ٣٣٠
(٤) ارجع إلى نفس المصدر ص ٣٣٠ وما بعدها.
(٥) نفس المصدر ص ٩٥ وقد سبق أن فرقنا بين العبادة و السحر وما يبدو هنا من قرب بينهما لا يفيد أنهما أصبحا شيئًا واحدا وقولنا هنا لا يفترق عن العبادة لا يقصد به العبادة الصحيحة.

obeikandl.com

ساحل غينيا حيث يوجبه الأولون ويحرمه الآخرون وهذا وذاك لأسباب دينية كما يعتقدون.

وأسباب الخلاف كثيرة ولكن لا شك فى أن من أسبابها البيئة وأثرها فى الاعتقاد فحيث يكون الأفريقي على البحر، وتكون حياته معلقة بهذا البحر نجده يترضاه، ويترضى حيواناته، فنجد "الحوت له معنى خاص بالنسبة للقرى الساحلية فى "غانا" فقوة حيويته تمثل إله البحر، ويجب أن يحاط جسده بالتشريف اللازم، وعدم القيام بهذا يعنى مجازفة خطيرة بأن تسعى روحه للانتقام من أساطيل الصيد المحلية[١].

ولمكانة الحوت هذه نجد أنه عندما مات أحد الحيتان عملت له جنازة حضرها "نكروما" ومعه أعضاء مجلس وزارته.

والرجل الأفريقى عندما يفعل كل هذا التكريم للحوت يمشى تبعًا لعقيدته وأن هذه "طريقة مثلى معقولة لاعطاء الخير فرصة ضد الشر[٢].

هنا نجد للبيئة تأثيرها فى تعظيم الحوت، وأما إذا كانت القبيلة فى مكان لا ترى فيه البحر فإنها لا تعظم الحوت لأنه لا دخل له فى حياتها بل المعبود هو مصدر الرزق ولذلك، فى قبائل (ابيو) تعد عبادة الأرض هى العبادة الرئيسية، وكاهن الأرض هو صاحب السلطان فى تنفيذ الشرائع المدنية والأخلاقية[٣].

ونجد عبادة الأجداد لدى قبائل (أوبانجى) تقام حول فرع ذى شعب من فروع شجرة مقدسة مغروسة بالقرب من بيت الأسرة.

وهكذا نجد ارتباط المعبودات بالبيئة حتى إذا ما تركنا أفريقيا وانتقلنا إلى الجزيرة العربية مثلاً نجد عبادة الأصنام حيث البيئة صحراوية ولكن مع هذا الاختلاف نكاد نجد ما يقرب من الاتفاق.

---

(١) الرب والله وجوجو ص ٦٧ ـ ٦٨.
(٢) نفسه ص ٦٨.
(٣) نفسه ص ٧٩.

فالكل يعترف بإله أعلى والكل يجعل آلهة صغارا.

ثم المشاكل تكاد تكون هى هى. من أين، وإلى أين، وأصل المخلوقات وأفعال الإنسان، والنفس الإنسانية، والسحر وتأثيره، ومن يقوم به وبيوت العبادة، والقائمون عليها، والتضحية وأثرها وتناسخ الأرواح الذى أوقف له أفلاطون جانبًا كبيرًا من محاوراته.

كل هذه المشاكل شعر بها، وبحثها الأفريقى. ولكن للأسف لم يشعر به أحد فى الوقت الذى وجدت فيه وثنية اليونان وآلهتها من الدارسين ما وجدت، وأعتقد أنه بعد ما تقدم من عقيدة الأفريقيين فى النفس، بعد هذا الرأى الذى تقدم نعلم أن الأفريقيين لم يكونوا حسيين، لا يؤمنون إلا بالمادة، بل نراهم عرفوا الروح، والعالم الروحانى، بل وربما وجدنا عندهم فكرة الإشراق، وأن ما يبعد الإنسان عن المشاهدة إنما هى ظلمة المادة، وأنه عندما يصفى نفسه يرجع إلى صفائه، ويشاهد.

ولنأخذ شاهدا على هذا ما نراه عند قبيلة (كالابارى) التى تقيم شرقى دلتا النيجر، والتى تعتبر تمثيلاً صحيحًا لعدد من سكان أفريقيا.

ويقسم اللاهوت "الكالابارى" العالم قسمين من الكائنات:

"أوجو" (المادى الجسمانى) ثم "تيم" (الروحانى أو اللامادى) فأيما كان له "أوجو" يمكن أن يراه الإنسان العادى إذا كان فى مركز يسمح له بذلك، لأن أوجو سواء كان رجلاً، أم سمكة، أو ثعبانًا أم شجرة، أم حشائش، أم أحجارًا، إنما يشغل حيزا محددا فى الفضاء.

أما "تيم" من الناحية الأخرى، فيمكن أن يراه الناس العاديون حينما يكونون صغارا جدًا فقط، قبل أن يطفئ فساد العالم المادى نور قلوبهم.

ويمكن استرداد هذه القدرة المفقودة، ولكن لا يستردها إلا المستعدون للخضوع لعلاج عشبى شديد يطلق عليه "تجلية العينين والأذنين".

وهكذا يجند المقدسون الذين لهم القدرة على التخاطب مع "تيم" ومعرفة إرادته.

وبالرغم من أنهم يتكلمون مع "تيم" كأنما قد حضر إلى مكان معين واستقر فيه، فهم أيضًا يصفونه بأنه فى كل مكان "كالنسيم" ويمكن لـ"تيم" أن يكون بغير أى مقابل جسدى فى عالم "أوجو" كما يحدث بالنسبة لآلهة القرية الأبطال أو أمواتها مثلاً

هؤلاء هم الذين لا تراهم.

ولكل شئ فى أوجو "ما يقابله فى "تيم".

وحينما يفقد إنسان أو حيوان "تيم" فإنه يموت، وهذا يطبق على كل الأشياء فى العالم العادى، حيوانية أو غير حيوانية "بل حتى - بالنسبة لفئة معينة من الآلهة المعروفة باسم "شعب المياه).

إن "تيم" يسيطر على "أوجو" كما يسيطر الربان على قارب الصيد[1] هنا نجد اعترافًا بالعالم الروحانى، وأنه يمكن الاتصال بهذا العالم الروحانى إذا كان الإنسان على درجة من الصفاء كالصغار "قبل أن يطفئ العالم المادى نور قلوبهم "أو الكبار الذين يتبعون منهجًا معينًا فى الحياة.

ولكن العبارة التى تحتاج إلى وقفة هى.

ولكل شئ فى "أوجو" ما يقابله فى "تيم" فهنا نجد كل شئ له روح وعند هؤلاء نجد الاهتمام الكامل بالروحانى وأن المادة لا قيمة لها إلا باتصالها بالروحانى فى قولهم:

"وحين يفقد إنسان أو حيوان "تيم فإنه يموت".

(١) الرب والله وجوجو ص ٤٦.

أفريقيا بعد دخول الإسلام

سلك الإسلام عدة طرق للدخول إلى أفريقيا[١] والمتتبع لطريقة دخول الإسلام إلى هذه القارة يجد عناية الله واضحة فى تهيئة الأسباب لانتشار هذا الدين الحنيف، حيث قيض الله سبحانه لنشر الإسلام ملوكًا، وعلماء، وصوفية، وتجارًا وناسًا عاديين، بل وربما أعداء للإسلام[٢] وليس هذا موضع تفصيل دخول الإسلام إلى أفريقيا ولكن نريد توضيح بعض الأمور.

أولاً: الإسلام لم يدخل أفريقيا بقوة السيف ولقد شهد غير المسلمين بهذا حيث أقروا بأن دعوة الإسلام "قامت على الإقناع الذى كان يقوم به دعاه متفرقون من المرابطين لا يملكون حولا ولا طولا، إلا إيمانهم العميق بدينهم.

وكثيرًا ما أنتشر الإسلام بالتسرب السلمى البطئ من قوم إلى قوم، فكان إذا ما اعتنقه الاستقراطية، وهى هدف الدعاة الأول تبعتها بقية القبيلة.. وقد يسر انتشار الإسلام أمر آخر هو أنه دين فطرة بطبيعته، سهل التناول، لا لبس و لا تعقيد فى مبادئه، وسهل التكييف والتطبيق على مختلف الظروف، وأن وسائل الانتساب إليه أيسر، وأيسر، إذ لا يتطلب من الشخص لإعلان إسلامه سوى النطق بالشهادتين حتى يصبح فى عداد المسلمين هذا إلى أن عقيدة التوحيد التى جاء بها الإسلام لم تكن غريبة عليهم بل كانت تتمشى مع عقيدتهم القديمة فى الاعتقاد بوجود إله خالق.

---

(١) هناك عدة كتب فى هذا الموضوع منها: انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية تأليف الدكتور: حسن إبراهيم حسن. وكتاب الدعوة إلى الإسلام تأليف: سير توماس. و"أرنولد".

(٢) فمثلاً الاستعمار - عدو الإسلام - أنشأ الطرق فإذا بالدعاة يستغلون هذه الطرق للإنتقال فى ربوع أفريقيا ونشر الإسلام.

وقد حبب الإسلام إليهم مظاهره البعيدة عن التكلف، مثل الثوب ـ الفضفاض، والمسبحة، والكتابة العربية، والوقار الدينى، وشعائر الصلاة، مما يضفى على المسلم مكانة مرموقة، وجاذبية ساحرة.

فالذى يدخل فى الإسلام ـ ولو فى الظاهر ـ يشعر بأنه أصبح ذا ـ شخصية محترمة، وأنه قد ازداد من القوة الحيوية"[١].

هذه شهادة أجنبى للإسلام، والإسلام لا يحتاج إلى شهادة ولكن نتركهم يردون على أنفسهم.

وصاحب هذه الشهادة كان حاكم المستعمرات، فهو لا ينقل من الكتب ولكنه يقرر واقعا عاشه. ثم هو ليس كأى حاكم جاهل بل هو حاكم باحث حيث قد صار أستاذا بمعهد الأجناس البشرية، ومعهد الدراسات السياسية بجامعة باريس.

ثم انظر إليه ـ وهو الرجل الباحث ـ حين يصف الإسلام بأنه "دين فطرة بطبيعته، سهل التناول، لا لبس و لا تعقيد فى مبادئه.. ثم حيث يقر بأن من دخل الإسلام" يشعر بأنه قد أصبح ذا شخصية محترمة وأنه قد ازداد من القوة الحيوية"

ونجد عالمًا آخر غير مسلم يقر بهذه العزة التى يشعر بها الأفريقى حين يدخل الإسلام، مما لم تستطع الوثنية ولا المسيحية أن توفرها له حيث يقر بأنه "فيما يتعلق بالفرد، فمن المسلم به من كل الوجوه أن الإسلام يمد السود الذين أسلموا حديثًا بالنشاط، والعزة، والاعتماد على النفس واحترام الذات، وهذه كلها صفات يندر جدًا أن نجدها فى مواطنيهم الوثنيين، أو المسيحيين"[٢].

هذه شهادة واحد من أكبر علماء أوروبا للإسلام وهو غير مسلم.

ثانيًا: ما أثر الإسلام فى أفريقيا أو بعبارة أخرى ماذا استفادت أفريقيا من الإسلام؟ والجواب على ذلك :

والفرق بين الإنسان فى الجاهلية والإنسان فى الإسلام واضح لا يحتاج إلى بيان. تعرف ذلك بالمقارنة بين العرب قبل الإسلام والعرب بعد الإسلام. بل وبين الإنسان

---

(١) الديانات فى أفريقيا السوداء ص١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢) الدعوة إلى الإسلام ص ٣٩٩.

الأوروبى. قبل الإسلام والإنسان الأوروبى بعد الإسلام، لأن هذا الإنسان الأوروبى لو لم يجد فائدة ـ لا يمكن تحصيلها إلا عن طريق الإسلام لما ترك دينه[١].

هذه أمور لا تحتاج إلى توضيح وما يصدق على غير أفريقيا يصدق على أفريقيا من باب أولى.

والذى نريد أن نثبته هنا هو شهادة الغير، لأن بعض الأمور التى لا نلتفت إليها تكون بالنسبة للغير أمرًا يكاد يقترب من الخيال فى بعض الأحيان وذلك مثل احتواء المسجد لجميع المصلين على اختلاف ألوانهم. هذا أمر ينظر إليه المسلم على أنه شئ عادى، ولذلك لا يشد انتباهه لكثرة ما تعوده. ولكن هذا الأمر نفسه كان يعتبر بالنسبة للأوروبى أغرب من الخيال وقت أن كانت التفرقة العنصرية هى الأساس، وأيضًا فى هذه الأيام مما ترتب عليه أن بعض من اعتنقوا المسيحية[٢] انحرفوا بها ـ علاوة على انحراف السابقين.

ونضرب مثلاً لذلك ببعض الجمعيات المسيحية مثل (جمعية برج المراقبة أو (شهود يهوه) وهى طائفة تدعو إلى المساواة، الفوضى الاجتماعية وعدم دفع الضرائب، وعصيان السلطات الحكومية[٣] ويزعم فريق من هذه الطائفة أن مسيحًا ثانيًا سينزل إلى الأرض تنجبه عذراء سوداء وأنه سيرسل الصواعق على الجنس الأبيض[٤]

هذه الطائفة ـ برغم شذوذها فى نظر الأوروبى ـ تمثل المرارة التى كان يشعر بها الأفريقى، حيث يرى أن المسيحية كما جاءته على يد الرجل الأبيض لم تحقق له شيئًا.

وهذه شهادة السير "توماس أرنولد" حين يقول ومعه غيره ممن يستشهد بهم "وفى الحق يظهر أن الإسلام لم يعامل الأسود قط على أنه من طبقة منحطة، كما كانت الحال، لسوء الحظ، فى كثير من الأحيان، فى العالم المسيحى.

---

(١) كثير من الذين يدخلون الإسلام من أوروبا هم من كبار المفكرين، فالإنسان الأوروبى ـ برغم ما يظهر عليه من النبوغ ـ لازال يشعر بالضياع فيما يتصل بالعقيدة والأخلاق والاجتماعيات، أو بمعنى أعم فيما يتصل بإنسانيته.

(٢) حسب تصور المؤلف وقد يتصور بأن المساواة فوضى.

(٣) بالطبع هذا أقل ما يجب مع حكومة استعمارية.

(٤) الديانات فى أفريقيا السوداء.

وإن هذه الملاحظة لتفسر إلى حد ما نجاح المسلم إذا ما قورن بالارساليات المسيحية بين الشعوب الزنجية، ويتضح فى أغلب الأحيان أن الأسود المتنصر يحيل إلى الأحساس بأن أبناء دينه من الأوربيين ينتمون إلى لون من الحضارة لا يلائم طبائعه فى الحياة، على حين يشعر فى المجتمع الإسلامى بأنه أكثر تعلقا به واطمئنانًا إليه .. وليست هناك هوة بين الداعى إلى الإسلام، والمتحول إليه، فكلاهما متساو أحدهما مع الآخر، لا نظريًا بل عمليًا، أمام الله..

وعلى هذا النحو، سرعان ما يصبح الأسود المتحول إلى الإسلام مع المؤمنين على قدم المساواة، ولا يحول دون ذلك لونه، أو جنسه، أو أية ملابسة من ملابسات الماضى.

وقد اتضح ما تقدمه حضارة أفريقيا الإسلامية إلى الزنجى الذى تحول إلى الإسلام، وضوحًا يبعث على الإعجاب فى العبارات الأتية:

إن أقبح الرذائل وهى أكل لحوم البشر، وتقديم الإنسان قربانًا، ووأد الأطفال أحياء ـ تلك الرذائل التى نجد ما يبرر الاعتقاد بأنها كانت فى وقت ما منتشرة فى كل أفريقيا، ولا يزال فى بقاع كثيرة منها، حتى تلك الجهات التى لا تبعد عن ساحل الذهب وعن مواطننا ـ قد اختفت فجأة وإلى الأبد.

والساكنون الذين كانوا يعيشون حتى ذلك الوقت عراة بدءوا يرتدون الملابس، بل يتأنقون فى ملابسهم، والساكنون الذين لم يغتسلوا قط من قبل بدءوا يغتسلون، بل يكثرون من الاغتسال، لأن الشريعة المقدسة تأمرنا بالطهارة..

كما أصبح تأمين الناس على أملاكهم وأرواحهم أكثر من ذى قبل وتنشأ مدارس أولية، كتلك المدارس التى وصفها "مونجو بارك" منذ قرن مضى.

حتى لو أن هذه المدارس اقتصرت على تعليم تلاميذها تلاوة القرآن لكانت ذات قيمة فى نفسها، وقد تكون خطوة فى سبيل ما هو أعظم منها بكثير.

وقد أصبح المسجد الجيد البناء النظيف بما فيه من أذان للصلاة خمس مرات فى اليوم، وقبلة تتجه إلى مكة، وإمام وصلاة جمعة، مركزا للقرية بدلاً من دار عبادة

أوثان أو "اليويو" ذات المنظر البشع.

وقد طغت عبادة الله الواحد القهار، الكائن فى كل مكان، العليم الرحيم، على كل ما لقن الأهالى عبادته من قبل، طغيانا لا حد له"[١].

وبذلك نرى أن الإسلام قد قضى على كل سيئات الوثنية فى المناطق التى دخل فيها فى الوقت الذى فشلت المسيحية فى تحقيق هذا النجاح.

ثالثًا: ما مستقبل الدعوة إلى الإسلام فى أفريقيا؟

ونحن فى الإجابة على هذا السؤال نكتفى بالتعرض لبعض الأمور، تاركين للمستقبل الإجابة الكاملة:

أ ـ أنه ليست هناك احاطة كاملة لسير الدعوة فى أفريقيا، وذلك للظروف السياسية من ناحية أخرى، ولعدم اهتمام علماء الإسلام بالكتابة العلمية فى هذا الموضوع من ناحية أخرى. وبذلك وجدنا أنفسنا مضطرين إلى المراجع الأجنبية فى معرفة معبودات أفريقيا، بل وفى معرفة سير الدعوة الإسلامية ومدى استجابة وإحجام الشعوب بالنسبة للإسلام.

ب ـ أن حوادث التاريخ قد برهنت على أن الإسلام فيه قوة ذاتية دائمًا تقلب الحسابات بالنسبة للمستقبل رأسًا على عقب. فكم من مرة تنبأ فيها المتنبئون ـ تبعًا للحسابات الإنسانية ـ بتوقف الإسلام، أو بانتهاء فاعليته، وما هى إلا فترة وجيزة حتى نجد الإسلام قد استعاد قوته، وبدأ يفتح آفاقًا جديدة ما كانت فى الحسبان.

وقد يقف الكثير موقف الدهشة من هذا، ولكن الدهشة إنما تكون إذا أسندنا الأمر إلى قوة إنسانية، ولكن الحق أنها قدرة الله.

والله سبحانه عندما أخبرنا بإظهار الإسلام كان هذا الإخبار عقب إخبارنا بمحاولات مستميتة من أعداء الدين للقضاء على الإسلام.

ونكتفى بما جاء فى موضعين..

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٣٩٤ ـ ٣٩٨.

ففى سورة التوبة يقول سبحانه"**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)**

وفى سورة الصف يقول سبحانه

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

هنا نجد وعدًا من الله سبحانه بنصرة دينه واظهاره على الدين كله برغم محاولات الأعداء وتخطيطهم المحكم ، إذ ماذا تفعل الأفواه مهما دبر لها ـ فى نور الله.

جـ ـ أن العدو يعى دوره ، وهو أنه لابد من الوقوف فى وجه الإسلام كما يرى العدو أن المسألة مصيرية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، ولنسمع لواحد يعبر عن وجهة النظر هذه وهو "هوبيرد يشان".

حيث يقول :

"كان كسب الإسلام لأقوام جديدة وراء مناطقه العريضة فى الشمال وفى الشرق رائعًا حقًا ، وكانت مطاياه إليها اللغات الواسعة الانتشار فى التفاهم وهى لغات قبائل (أولوف)و(بيل)و(ماندانج) و(هوزا) والسواحيليين. كذلك كان للتجارة التى تنقلها القوافل شأن يذكره.

وأما المسيحية فقد رسخت أقدامها على الساحل الجنوبى ، وثبتت أصولها فيه ، وهى تتقدم للقاء الإسلام وجهًا لوجه لتعترض زحفه إلى الجنوب.

ترى أيهما ينتصر؟

الإسلام الشرقى ، أو المسيحية الغربية؟

يتنبأ البعض بأن مصائر أفريقيا كلها تتوقف على ما يتضمنه جواب هذا السؤال[١].

د ـ العدو يدرس ويعدل فى خططه ، وهو بذلك يحاول أن يتلافى النقص فى أفكاره التى جاء بها إلى أفريقيا.

---

(١) الديانات فى أفريقيا السوداء ص ١٩٠ ـ ١٩١.

"ولذلك فرض على أعضاء البعوث التبشرية قبل أن يقصدوا تلك الجهات اتباع خطة مرسومة تقضى بدراسة تلك البيئات دراسة شاملة وتفهم نظمها الاجتماعية، وعاداتها، ولغتها.

كما أنه يجب على المبشر أن يختلط بالسكان بالزيارة، وأداء الخدمات والإخلاص فى التعاون معهم فى كل فرصة تتطلب ذلك.

فالمدرسة والمستشفى أو المستوصف، والمثابرة على الدعوة المسيحية وترجمة الكتاب المقدس، والتعليمات الدينية إلى لهجة السكان، ومعرفة الأعياد المقدسة، وغرس شعور الأخوة المسيحية بين الجميع ـ كل هذه الوسائل تساعد دون شك على توسيع نطاق عمل البعثات ونجاحها.

وهكذا يصبح المبشر هو الرئيس الروحى فى تلك البيئة[١].

ولما كانت هذه المهمات لا يستطيع المبشر أن يقوم بها وحده فقد رأى من الضرورى الاستعانة بعدد من أهل البلاد الأصليين لمساعدته.

"وشعرت الكنيسة عند ذلك بوجوب اتخاذ خطوات جديدة بتعيين قساوسة من الأفريقيين، حتى يدرك الزنوج أن الكنيسة ليست احتكارًا للجنس الأبيض وحده، وإنما تشمل كل مسيحى بصرف النظر عن اللون والعنصر والثروة والبروتستنت فى جنوب أفريقيا، وساحل غينيا كانوا أول من نادى بتلك الفكرة، وتبعهم الكاثوليك بعد ذلك فى القرن العشرين.

هذا إلى أن البابا (بيوس الحادى عشر) والبابا (بيوس الثانى عشر) شجعا ذلك الاتجاه.

وفى الآونة الحاضرة نجد فى أفريقيا خمسة من الأساقفة الزنوج، كما نرى عددًا من المدارس الكهنوتية التى ينتظر أن يتخرج منها أفواج من القساوسة الزنوج[٢].

هـ ـ دخل المبشرون إلى أفريقيا فى أول الأمر بشيء من العنف واحتقار الزنوج[٣].

ولكنهم سرعان ما عدلوا من خططهم، فأظهروا كل الاحترام لعادات الزنوج،

(١) نفسه ص ١٧٢ ـ ١٧٣.
(٢) نفسه ص ١٧٢ ـ ١٧٣.
(٣) انظر نفس المصدر ص ١٧٢.

فمثلاً انتشر (الانجيليكان) فى المدن وفى الغابات وتجنبوا أن يهدم تبشيرهم أى نظام قديم كان للقبائل[١].

وسنجد لهذا السلوك حيال العقائد الوثنية أثره فى نفوس الأفريقيين إذ "كان من أهم العوامل فى نشر المسيحية موقف التقدير الذى وقفه المبشرون أخيرًا إزاء العوائد الوثنية الموروثة[٢].

وكان الأب (أوبيس) أول من نادى بتلك الفكرة: فكرة تقدير العقائد الوثنية.

وهى فكرة تقوم على أن لكل حضارة قيمتها الخاصة بها.

ولهذا كان من واجب المسيحية ـ كما يقول ـ ألا تعمل على محوها وإنما يجب أن تعمل على التغلغل فيها بدراستها حتى تستغل بذورها الصالحة. وذلك بتفهم نفسية الزنوج، وجعل عاداتهم القديمة عادات مسيحية.

وهذه الطريقة فى التبشير بالمسيحية جعلت الأفريقى عندما يدخل فى المسيحية يشعر بأنه لم يفارق كثيرًا من عاداته التى ألفها.

و ـ العمل السياسى وما نرى فيه من محاربة الإسلام علنا فنجد بعض المناطق تغلق فى وجه الدعوة إلى الإسلام، ويكون هذا الإغلاق باتفاق من جميع الدول المسيحية تقريبًا على اختلاف مذاهبهم الدينية كما نرى فى جنوب السودان.

وكذلك الحروب العلنية ضد الدول الإسلامية، مع عدم تكافؤ الفرص بين الطرفين ثم بعد ذلك الإمكانات الضخمة التى فى يد العدو والتنظيم الدقيق المحكم فى وسائل التبشير. والوسائل التى تتخذ فى التبشير من استغلال حاجة المحتاج. والطرق غير الشريفة كتشجيع تحديد النسل بين المسلمين، وكذلك التشجيع على الفساد والتحلل فى المجتمعات الإسلامية.

ز ـ العدو قد ملأ قلوب الكثير من الأفريقيين أن المسلمين وبخاصة العرب هم الذين كانوا يقومون بتجارة الرقيق وهم الذين كانوا يهاجمون الأفريقيين ويربطونهم بالحبال، ويأخذونهم لبيعهم فى أسواق الرقيق.

---

(١) نفسه ص١٥٩ ـ ١٦٠

(٢) نفسه ص ١٧٢.

وبذلك يزرعون العداوة فى قلوب الأفريقيين، ويوهمونهم بأنهم - أى الأوربيين - كان على يدهم انقاذهم من تجارة الرقيق التى كان العرب يقومون بها.

ح - الاختلاف الذى نشأ بين المسلمين الذين يقومون بالعمل فى حقل الدعوة، ومن أثر ذلك ما تراه من الحملات بين الصوفية ومخالفيهم وكثيرًا ما ترتفع درجة حرارة هذا الاختلاف مما يصل بالمختلفين إلى ما يحزن كل مسلم وبخاصة من قرأ التاريخ وعلم نتائج الخلاف.

كل هذه الأسباب تجعل مستقبل الدعوة الإسلامية غير واضح بل ربما تجعل الإنسان يقلل كثيرًا من التفاؤل.

ولكن ما أن يصل الإنسان إلى هذه الدرجة حتى يجد أسباب التفاؤل الكثيرة تنادية.

إنه يجد وعد الله بالنصر، ثم يجد التاريخ الشاهد على أن الأسباب العادية ليست هى كل شيء فى مسيرة الإسلام، فكم من مرة ظن الناس فيها أن الإسلام قد انتهى، وما هى إلا لحظات حتى يكون النصر ثم دخول عدد لا بأس به فى الإسلام من أبناء الدول التى تحارب الإسلام بل ومن كبار مفكريها ثم الغيرة الدينية عند كثير من المسلمين، هذه الغيرة التى كانت سببًا فى هذه الأعمال الدينية، من الدعوة إلى الله، وبناء المساجد والمدارس والمستشفيات، والتصدى للتبشير ووسائله.

ولكن بقى علينا أن نعمل فى الدعوة إلى الإسلام، وأن يترك الدعاة هذه الخلافات التى تنشب بينهم من وقت لآخر فتجعلهم شيعًا وأحزابًا فتقضى على جهدهم وتترك الناس فى حيرة.

obeikandl.com